

المعاني الروحية في عيد الغطاس المجيد

تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كل عام يوم ١٩ يناير- الموافق ١١ طوبة- بأحد الأعياد السيديّة الكبرى المهمة في الكنيسة، وهو عيد الغطاس المجيد. فيه نتذكر عماد السيد المسيح بيد يوحنا المعمدان في نهر الأردن. وبذلك أسس لنا أحد أسرار الكنيسة السبعة الهامة لنوال الخلاص، ألا وهو (سر المعمودية المقدس) الذي من خلاله يصير الانسان مسيحياً. واحتفالنا هذا العام ٢٠٢١م بعيد الغطاس المجيد سيكون احتفالاً محدوداً في الكنائس بإقامة قداس العيد بحضور الأباء الكهنة لكل كنيسة مع عدد محدود جداً من أبناءنا الشمامسة (عشرون شماساً فقط) نظراً لجائحة كورونا التي أصابت العالم وبلادنا العزيزة مصر. نرفع قلوبنا لله طالبين أن يرفع عن العالم وبلادنا هذا الوباء، وأن يُنعم على المصابين بنعمة الشفاء، وأن يحفظ بلادنا ورئيسنا المحبوب فخامة الرئيس عبد الفتاح السيسي، وأن يحفظ حياة أبينا البابا تواضروس الثاني، ونطلب صلواته عنا. وبهذه المناسبة نهني كل الشعب المصري الأصيل بهذا العيد الذي كان يحتفل به كل المصريين على ضفاف نهر النيل الخالد. نطلب من الله أن ينعم على هذا النهر بالبركة لمياهه، وأن يحفظه من حقد الحاقدين. أسس السيد المسيح له المجد بعماده من يوحنا المعمدان سر المعمودية، وعند عماده انشقت السماء وظهر الروح القدس مستقراً على السيد المسيح في شكل حمامة، وصوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (مت ٣: ١٧)، والحمامة تذكرنا بحمامة نوح التي عادت إلى الفلك وفي فمها ورقة زيتون رمز السلام، وفي هذا إشارة إلى السيد المسيح رئيس السلام.

والسؤال لماذا اعتمد السيد المسيح من يوحنا المعمدان؟

- ١- اعتمد بوصفه أنه ظهر في الهيئة كإنسان، وشابه البشر في كل شيء "ما عدا الخطية" ولذلك خضع للناموس، وتم طقوس العبادة. فأختتن (لوقا ٢: ٢١) وصعدوا به إلى اورشليم ليقدموا ذبيحة عنه (لوقا ٢: ٢٤) وصام (مت ٢: ٤) وصلى (لوقا ١٢: ١٢) واعتمد.
- ٢- اعتمد بوصفه الفادي الذي جاء مُمثلاً للبشر الخطاة ليحمل خطاياهم في جسده، ويموت ويُدفن في القبر نيابة عنهم.
- ٣- اعتمد ليكمل كل بر (مت ٣: ١٥) أي ليكمل ما عجز عنه البشر من بر الخضوع للوصايا والطقوس ومن بالتواضع أمام الله.

+ مقالات أبينا الحبيب القس بولا فؤاد رياض +

٤- اعتمد بمعمودية يوحنا الناقصة التي هي بالماء ليوجه الأنظار إلى المعمودية الكاملة التي هي بالماء والروح التي كانت معمودية يوحنا رمزاً لها.

٥- اعتمد بنزوله إلى مياه الأردن ثم صعوده منها، ليرسم لنا طريقة العماد بالتغطيس .

٦- اعتمد واستقر عليه الروح القدس بهيئة حمامة، وكان صوت من الآب السماوي أي ظهر الثالوث المقدس عند العماد، يتميز الواحد عن الآخر، وهذا لا يعني أن الثالوث فيه انفصال بين الأقانيم، وإنما القصد منه أن تتضح حقيقة التثليث والتوحيد للناس.

٧- اعتمد واستقر الروح القدس عليه في صورة حمامة كعلامة يتعرف بها يوحنا على السيد المسيح المخلص .

والسؤال الثاني لماذا السيد المسيح في نهر الأردن دون غيره من الأنهار؟

١- نهر الأردن من خلاله وصل يشوع والشعب إلى أرض الموعد، كذلك من خلال المعمودية نصل إلى السماء.

٢- عند نهر الأردن صعد إيليا النبي إلى السماء في مركبة نارية، ومن خلال المعمودية نصل إلى السماء من خلال الماء ونار الروح القدس.

٣- في نهر الأردن تجدد جسم نعمان السرياني من البرص، ونحن في المعمودية نأخذ الطبيعة الجديدة .

٤- نهر الأردن من أنهار بلاد الشام المتواضعة والذي احتقره نعمان السرياني، إشارة إلى أن الله يسكن مع المتواضعين وينظر إلى المتواضعات.

٥- نهر الأردن يتكون من فرعين يصبان في نهر واحد، إشارة إلى أن المعمودية جعلت اليهود والأمم واحد.

ونجد في عيد الغطاس يأكل الناس أكلات شعبية لها رموز روحية مرتبطة بالمعمودية. حتى الآن لا يزال القلقاس والقصب والبرتقال أكلات مفضلة في هذا العيد رغم أن الغالبية لا يعرفون السبب. إلا أن العادات مستمرة وهذا يؤكد أن هناك أسباباً مرتبطة بالعيد أدت إلى استمرار هذه العادة ويمكن الإشارة إلى كل أكلة منها، ورمزها لعيد الغطاس المجيد والمعمودية.

أولاً القلقاس:

الحق أن القلقاس يُشير إلى المعمودية من عدة جوانب لعل أهمها هو الآتي:

+ مقالات أبينا الحبيب القس بولا نواد رياض +

١- من المعروف أن القلقاس يحتوي على مادة هلامية سامة تؤذي حنجرة الانسان، وهذه المادة المخاطية يمكن التخلص منها بالماء، ولهذا يتم غسل القلقاس قبل طبخه بالماء جيداً وهكذا الانسان أيضاً يتخلص من سموم خطية آدم الجدية عن طريق مياه المعمودية التي منها يخلع الانسان العتيق ليلبس الجديد أي أننا نتطهر من سموم الخطية بالماء.

٢- ونبات القلقاس يُدفن كاملاً في الأرض لكي يصير نباتاً، ويصعد حياً فيُصبح صالحاً للطعام، والمعمودية من مفهومنا الإنجيلي والعقدي هي دفن أو موت مع المسيح وصعوده معه. ولهذا يقول معلمنا بولس الرسول مَذْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانٍ عَمَلِ اللَّهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ (كو ٢: ١٢)، فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، (مت ٣: ١٦) .

٣- لو تأملنا في طريقة زراعة القلقاس لوجدنا أنه يُغمر في الأرض، ولكن أفرعه الخضراء تُعلن عنه، والسيد المسيح عندما اعتمد من يوحنا المعمدان في نهر الأردن، حل عليه الروح القدس في شكل حمامة وصوت من السماء أعلن بنوته لله قائلاً: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ (مت ٣: ١٧)

٤- ولكي يؤكل القلقاس يجب تعريته من قشرته الخارجية قبل طبخه، وبدون تعريته يصير عديم الفائدة، ونحن في المعمودية نخلع ثيابنا إشارة إلى خلع ثياب الخطية، وخلع الطبيعة القديمة الفاسدة. خلع ما ورثناه من آدم الأول، لنلبس ما أنعم به علينا آدم الثاني أعني السيد المسيح ابن الله (كو ٢: ١١)، (أف ٤: ٢٢)، (رو ١٣: ١٢).

٥- كذلك القلقاس شديد الصلابة لا يُخترق بسهولة، مثل الإيمان السليم لا يستطيع أحد أن يزعه.

٦- إذا وضع القلقاس في الماء المجرد تظهر المادة اللزجة السامة التي فيه يفسد.

ثانياً القصب:

١- القصب ينمو في المناطق الحارة. ففي مصر مثلاً نجده ينمو في الوجه القبلي مثل قنا والأقصر. وذلك يذكرنا بحرارة الروح أي الانسان المؤمن المُعمد يكون حاراً بالروح .

٢- نبات القصب قلبه الداخلي أبيض، وهذا يُشير إلى نقاء قلب الانسان المُعمد طوبى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ (مت ٥: ٨)، الانسان الذي يكون قلبه أبيض يكون مملوء حلاوة "فضائل" مثل حلاوة القصب.

+ مقالات أبينا الحبيب القس بولا فؤاد رياض +

٣- كان الناس قديماً يضعون شموع فوق القصب، وهذا يرمز لنور الروح القدس، وبعد ذلك يذوقوا حلاوة القصب، مثل الانسان المُعمد عندما يأخذ بركة المعمودية يذوق حلاوة العشرة مع الله. هذه عادات وأكلات منتشرة وليس لها أصل في الكتاب المقدس، ولكن لها رموز روحية للمعمودية.

٤- يتكاثر نبات القصب عن طريق العقل الساقية، حيث يتم غرسها تماماً في التربة ثم يخرج بعد ذلك نباتاً كاملاً حياً وهذا رمز للمعمودية. فالمعمودية هي موت وحياة مع المسيح .

ثالثا البرتقال :

ويستخدم أيضاً كرمز للمعمودية بكمية المياه الحلوة التي تكون فيه، وكان الناس يصنعون شموع في البرتقال كشكل الفانوس، وكذلك يمكن أن يُقال إن أصل الفانوس هو فانوس الغطاس، ويُسمى عيد الغطاس عيد الأنوار.

كل سنة ومصر والمصريين بخير وسلام،

القس بولا فؤاد رياض

كاهن كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بالطرية